خيام النبطية، بينما استهدفت الثانية خراج بلدة عيتنيت قضاء الزهراني»(٥). ومساء اليوم ذاته، قصفت المدفعية الاسرائيلية عدة قرى في جنوب لبنان بين الساعة التاسعة والقصف والساعة الثانية عشرة ليلاً. ورد الفدائيون على القصف «باطلاق صواريخ كاتيوشا من مواقعهم في جنوب لبنان، أصابت كريات شمونة... وقالت تقارير أولية أن القصف الذي يعتبر الأول من نوعه، منذ ٢ آذار (مارس) الماضي، أدى إلى إصابة ١٨ اسرائيلياً بجراح»(٦). وكان يمكن للأمر أن ينتهي كالعادة عند هذا الحد. لكن اسرائيل عاودت، في ١٢/٧/١٩٨١، أعمالها الهجومية، فشنت غارة على «المنشآت العسكرية التابعة للفدائيين في لبنان، وأصابت مستودعات للأسلحة والذخيرة... وتقع المنطقة التي هوجمت... جنوب بيروت بين بلدتي الدامور والناعمة»(٧).

وتكرر الهجوم الاسرائيلي الجوي يوم ١٤/٧/١٩٨١، وكان في سماء لبنان طيران سوري «فحاول السوريون خرق الوضع الذي يجب أن يبقى قائماً في سماء لبنان، ولا شك بطائراتهم يدفعون ثمن ذلك... ونأمل ألا يكون للسوريين علاقة بحربنا ضد الفدائيين»(٨). هذا ما صرح به مردخاي تسيبوري، نائب وزير الدفاع الاسرائيلي يومذاك. ورد الفلسطينيون بالمثل مستخدمين صواريخ الكاتيوشا وقذائف المدفعية البعيدة المدى، في ١٥/٧/١٩٨١، باتجاه عدد كبير من المدن والقرى الاسرائيلية. ولم تحتمل اسرائيل رد الفلسطينيين، فبدأت، منذ يوم ١٦/٧، نمطاً جديداً من الحرب «فصبت... مئات القذائف فوق ٤٦ مدينة وقرية جنوبية... وسجلت تدمير خمسة جسور استراتيجية... وقالت المصادر أن المواجهة تأخذ حجم حرب اسرائيلية ــ فلسطينية حقيقية»(٩).

وفي يوم ١٧/٧/١٩٨١ «في الحادية عشرة قبل الظهر تماماً... هاجمت بيروت من البحر مقاتلات حربية اسرائيلية عددها بين ١٢ و ٩ طائرات، وصبت ما تحمل من قذائف وصواريخ وحمم فوق مناطق عدة مسببة سقوط مئات الضحايا بين قتيل وجريح... وعلى صعيد الأضرار التي أحدثتها الغارة... فإن ٧ بنايات قد دمرت في منطقة الفاكهاني تدميراً كاملاً، وإن ٣ بنايات أخرى أصيبت بتدمير جزئي... وكانت أرقام قتلى وجرحى الحدوان ترتفع مع مرور الساعات، وسجل حتى العاشرة ليلاً مقتل أكثر من ١٥٠ شخصاً وجرح أكثر من ٦٠٠ شخص»(١٠).

وهكذا استمرت الحرب حتى وقف إطلاق النار في ٢٤/٧/١٩٨١.

حرب الجسور وقصف المدنيين في بيروت

«أعلن الناطق باسم الجيش الاسرائيلي... أن الطائرات هاجمت ودمرت مراكز قيادية وقواعد [للفدائيين] كما دمرت ثلاثة جسور على نهر الزهراني، وجسرين على نهر الليطاني، كانت تستخدم كلها كمحاور حركة لقوات [الفدائيين] في الجنوب»(١١).

وعلق رئيس الأركان الاسرائيلي، الجنرال رفائيل إيتان، على ضرب الجسور وقصف التجمعات السكنية بالقول: «إننا لن نسمح بأن تصبح الحياة صعبة في جانبنا، بينما تبقى الحياة عادية في جانبهم... إن الجسور لن تبقى مفتوحة أمام حركة السير، وسيهتم